

## صيد الخاطر

71 - - فصل : أهل البدع و التشبيه .

اعلم أن شرعنا مضبوط الأصول محروس القواعد لا خلل فيه و لا دخل و كذلك كل الشرائع .  
إنما الآفة تدخل من المبتدعين في الدين أو الجهال .  
مثل ما أثر عند النصارى حين رأوا إحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام فتأملوا الخارق  
للعادة الذي لا يصلح للبشر فنسبوا الفاعل إلى الإلهية .  
و لو تأمل ذاته لعلموا أنها مركبة على النقائص و الحاجات و هذا القدر يكفي في عدم صلاح  
إلهية فيعلم حينئذ ما جرى على يديه فعل غيره .  
وقد يؤثر ذلك في الفروع مثل ما روي أنه فرض على النصارى صوم شهر فزادوه عشرين يوماً ثم  
جعلوه في فصل من السنة بآرائهم .  
و من هذا الجنس تخبيط اليهود في الأصول و الفروع و قد قارب الضلال في أمتنا هذه المسالك  
و إن كان عمومهم قد حفظ من الشرك و الشك و الخلاف الظاهر الشنيع لأنهم أعقل الأمم و  
أفهمها .

غير أن الشيطان قارب بهم و لم يطمع في إغراقهم و إن كان قد أغرق بعضهم في بحار الضلال  
فمن ذلك أن الرسول صلى الله عليه و سلم : جاء بكتاب عزيز من الله قيل في صفته : { ما  
فرطنا في الكتاب من شيء } و بين ما عساه بشكل مما يحتاج إلى بيانه بسنته كما قيل له :  
{ لتبين للناس ما نزل إليهم } فقال بعد البيان : تركتكم على بيضاء نقية فجاء أقوام فلم  
يقنعوا بتبيينه و لم يرضوا بطريقة أصحابه فبحثوا ثم إنقسموا .

فمنهم : من تعرض لما تعب الشرع في إثباته في القلوب فمجاه منها فإن القرآن و الحديث  
يثبتان الإله D بأوصاف تقرر وجوده في النفوس كقوله تعالى : { استوى على العرش } و قوله  
تعالى : { بل يده مبسوطتان } و قوله تعالى { و لتصنع على عيني } و قول النبي صلى الله  
عليه و سلم : [ ينزل الله إلى السماء الدنيا و يبسط يده لمسئة الليل و النهار و يضحك و  
يغضب ] .

كل هذه الأشياء - و إن كان ظاهراً يوجب تخايل التشبيه فالمراد منها إثبات موجود فلما  
علم الشرع ما يطرق القلوب من التوهّمات عند سماعها قطع ذلك بقوله : { ليس كمثله شيء } .  
ثم إن هؤلاء القوم عادوا إلى القرآن الذي هو المعجز الأكبر و قد قصد الشرع تقرير وجوده  
فقال : { إنا أنزلناه } { نزل به الروح الأمين } { فذرني و من يكذب بهذا الحديث } { و  
هذا كتاب أنزلناه } و أثبتته في القلوب بقوله تعالى : { في صدور الذين أوتوا العلم } و

في المصاحف قوله تعالى : { في لوح محفوظ } و قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : [ لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو ] .  
فقال قوم من هؤلاء : مخلوق فأسقطوا حرمة من النفوس و قالوا : لم ينزل و لا يتصور نزوله و كيف تنفصل الصفة عن الموصوف و ليس في المصحف إلا حبر و ورق ؟ فعادوا على ما تعب الشرع في إثباته بالمحو .

كما قالوا : إن الله ليس في السماء و لا يقال إستوى على العرش و لا ينزل إلى السماء الدنيا بل ذاك رحمته فمحو من القلوب ما أريد إثباته فيها و ليس هذا مراد الشرع .  
و جاء آخرون فلم يقفوا على ما حده الشرع بل عملوا فيه بآرائهم فقالوا : الله على العرش و لم يقنعوا بقوله : { ثم استوى على العرش } .  
و دفن لهم أقوام من سلفهم دفائن و وضعت لهم الملاحظة أحاديث فلم يعلموا ما يجوز عليه مما لا يجوز فأثبتوا بها صفاته و جمهور الصحيح منها آت على توسع العرب فأخذوهم على الظاهر فكانوا في ضرب المثل كجحا فإن أمه قالت له : إحفظ الباب فقلعه و مشى به فأخذ ما في الدار فلامته أمه فقال : إنما قلت إحفظ الباب و ما قلت إحفظ الدار .  
و لما تخيلوا صورة عظمة على العرش أخذوا يتأولون ما ينافي وجودها على العرش مثل قوله : [ و من أتاني يمشي أتيتة هرولة ] فقالوا : ليس المراد به دنو الإقتراب و إنما المراد قرب المنزل و الحظ .  
و قالوا في قوله تعالى : { إلا أن يأتيهم الله في ظلل } : هو محمول على ظاهرها في مجيء الذات فهم يحلونه عاما و يحرمونه عاما .  
و يسمون الإضافات إلى الله تعالى صفات فإنه قد أضاف إليه النفخ و الروح .  
و أثبتوا خلقه باليد فلو قالوا خلقه لم يمكن إنكار هذا بل قالوا هي صفة تولى بها خلق آدم دون غيره .

فأي مزية كانت تكون لآدم ؟ .  
فشغلهم النظر في فضيلة آدم عن النظر إلى ما هو يليق بالحق مما لا يليق به .  
فإنه لا يجوز عليه المس و لا العمل بالآلات و إنما آدم أضافه إليه فقالوا : نطلق على الله تعالى إسم الصورة لقوله : [ خلق آدم على صورته ] .  
و فهموا هذا الحديث و هو قوله عليه السلام : [ إذا ضرب أحدكم فليجنب الوجه و لا يقلق وجهه و لا وجهه و لا وجهه أشبه وجهك فإن الله خلق آدم على صورته ] .  
فلو كان المراد به الله لكان وجهه سبحانه يشبه وجه هذا المخاصم لأن الحديث كذا جاء -  
و لا وجهه أشبه وجهك - و رووا حديث خولة بنت حكيم : و إن آخر وطئة و طئها الله بوج و ما علموا النقل و لا السير و قول الرسول صلى الله عليه وسلم : [ اللهم أشدد وطأتك على مضر ]

و أن المراد به آخر وقعة قاتل فيها المسلمون بوج و هي غزاة حنين فقالوا : نحمل

الخبر على ظاهره و أن ا □ وطئ ذلك المكان .

و لا شك أن عندهم أن ا □ تعالى كان في الأرض ثم صعد إلى السماء و كذلك قالوا في قوله [ إن ا □ لا يمل حتى تملوا ] قالوا : يجوز أن ا □ يوصف بالملل فجهلوا اللغة و ما علموا أنه لو كانت حتى ههنا للغاية لم تكن بمدح لأنه إذا مل حين يمل فأى مدح و إنما هو كقول الشاعر : .

( جلبت مني هزيل بخرق ... لا يمل الشر حتى يملوا ) .

و المعنى لا يمل و إن ملوا .

و قالوا في قوله عليه الصلاة السلام : [ الرحم شجنة من الرحمن تتعلق بحقوي الرحمن ] فقالوا - الحقوا - صفة ذات و ذكروا أحاديث لو رويت في نقض الوضوء ما قبلت . و عمومها وضعته الملاحدة كما يروى عن عبد ا □ بن عمرو و قال : [ خلق ا □ الملائكة من نور الذراعين و الصدر ] فقالوا : نثبت هذا على ظاهره ثم أرضوا العوام بقولهم : و لا نثبت جوارح فكأنهم يقولون فلان قائم و ما هو قائم .

فاختلف قولهم هل يطلق على ا □ D إنه جالس أو قائم كقوله تعالى : { قائما بالقسط } . و هؤلاء أخس فهما من جأ لأن قوله { قائما بالقسط } لا يراد به القيام و إنما هو كما يقال : الأمير قائم بالعدل .

و إنما ذكرت بعض أقوالهم لئلا يسكن إلى شيء منها فالحذر من هؤلاء عبادة .

و إنما الطريق طريق السلف على أنني أقول لك قد قال أحمد بن حنبل C عليه [ من ضيق علم الرجل أن يقلد في دينه الرجال ] .

فلا ينبغي أن تسمع من معظم في النفوس شيئا في الأصول فتقلده فيه .

و لو سمعت عن أحدهم ما لا يوافق الأصول الصحيحة فقل : هذا من الراوي لأنه قد ثبت عن ذلك الإمام أنه لا يقول بشيء من رأيه .

فلو قدرنا صحته عنه فإنه لا يقلد في الأصول و لا أبوبكر و لا عمر B هما .

فهذا أصل يجب البناء عليه فلا يهولنك ذكر معظم في النفوس .

و كان المقصود من شرح هذا أن ديننا سليم و إنما أدخل أقوام فيه ما تأذينا به .

و لقد أدخل المتزهدون في الدين ما ينفر الناس حتى إنهم يرون أفعالهم فيستعبدون الطريق .

و أكثر أدلة هذه الطريق القصاص فإن العامي إذا دخل إلى مجلسهم و هو لا يحسن الوضوء

كلموه بدقائق الجنيد و إرشادات الشبلي فرأى ذلك العامي أن الطريق الواضح لزوم زاوية و

ترك الكسب للعائلة و مناجاة الحق في خلوة على زعمه .

مع كونه لا يعرف أركان الصلاة و لا أدبه العلم و لا قوم أخلاقه شيء من مخالطة العلماء .  
فلا يستفيد من خلوته إلا كما يستفيد الحمار من الإصطبل .  
فأن امتد عليه الزمان في تقى زاد يبسه فربما خايلت له المالخوليا أشباحا يظنهم  
الملائكة ثم يطأطئ رأسه و يمد يده للتقبيل .

فكم قد رأينا من أكار ترك الزرع و قعد في زاوية فصار إلى هذه الحالة فاستراح من تعبهِ  
فلو قيل له : عد مريضا قال : مالي عادة فلعن ا عادة تخالف الشريعة .  
فيرى العامة بما يورده القصاص أن طريق الشرع هذه لا التي عليها الفقهاء فيقعون في  
الضلال .

و من المتزهدين من لا يبالي عمل بالشرع أم لا .  
ثم يتفاوت جهالهم فمنهم من سلك مذهب الإباحة و يقول : الشيخ لا يعارض و ينهمك في  
المعاصي .

و منهم : من يحفظ ناموسه فيفي بغير علم لئلا يقال : الشيخ لا يدري .  
و لقد حدثني الشيخ أبو حكيم C : أن الشريف الدحالي - و كان يقصد فيزار و يتبرك به -  
حضر عنده يوما فسأل أبو حكيم : هل تحل المطلقة ثلاثا إذا ولدت ذكرا ؟ قال : .  
فقلت : لا و ا فقال لي الشريف : اسكت فو ا لقد أفيتت الناس بأنها تحل من ههنا إلى  
البصرة .

و حكى لي الشيخ أبو حكيم : أن جد آذاز الحداد و كان يتوسم بالعلم جاءت إليه امرأة  
فزوجها من رجل و لم يسأل عن انقضاء العدة فاعترضها الحاكم و فرق بينها و بين الزوج و  
أنكر على المزوج فلقيته المرأة فقالت يا سيدي أنا امرأة لا أعلم فكيف زوجتني ؟ فقال [   
دعي حديثهم ما أنت إلا طاهرة مطهرة ] .

و حدثني بعض الفقهاء عن رجل من العباد أنه كان يسجد للسهو سنين و يقول : و ا ما سهوت  
و لكن أفعله احترازا فقال له الفقيه : قد بطلت صلاتك كلها لأنك زدت سجودا غير مشروع .  
ثم من الدخل الذي دخل ديننا طريق المتصرفة فإنهم سلكوا طرقا أكثرها تنافي الشريعة و  
أهل التدين منهم يقللون و يخففون .

و هذا ليس بشرع حتى إن رجلا كان قريبا من زمني يقال له كثير دخل إلى جامع المنصور و  
قال : عاهدت ا عهدا و نقضته فقد ألزمت نفسي ألا تأكل أربعين يوما .  
فحدثني من رآه أنه بقي عشرة أيام في العشر الرابع أشرف على الموت قال : فما إنقضت حتى  
تفرغ فصب في حلقه ماء فسمعنا له نشيشا كنيشيش المقلاة ثم مات بعد أيام .  
فأنظروا إلى هذا المسكين و ما فعله به جهلة .

و منهم من فسح لنفسه في كل ما يحب من التمتع و اللذات و اقتنع من التصوف بالقميص و الفوطة و العمامة اللطيفة و لم ينظر من أين يأكل و لا من أين يشرب و خالط الأمراء من أرباب الدنيا و لباس الحرير و شراب الخمر حفا لماله و جاهه .  
و منهم أقوام سنا لهم تلقوها من كلمات أكثرها لا يثبت .  
و منهم من أكب على سماع الغناء و الرقص و اللعب ثم إنقسم هؤلاء فمنهم من يدعي العشق فيه و منهم من يقول بالحلول و منهم من يسمع على وجه الهوى و اللعب .  
و كلا الطريقتين يفسد العوام الفساد العام .  
و هذا الشرح يطول و قد صفت كتباً ترى فيها البسط الحسن إن شاء الله تعالى منها [ تلبيس إبليس ] .  
و المقصود أن تعلم أن الشرع تام كامل فإن رزقت فهما له فأنت تتبع الرسول صلى الله عليه و سلم و أصحابه و تترك بنيات الطريق و لا تقلد في دينك الرجال فإذا فعلت فإنك لا تحتاج إلى وصية أخرى .  
و إحد جمود النقلة و إنبساط المتكلمين و جموع المتزهدين و شره أهل الهوى و وقوف العلماء على صورة العلم من غيل عمل و عمل المتعبدین بغير علم .  
و من أيده الله تعالى بلطفه رزقه الفهم و أخرجه عن ريقه التقليد و جعله أمة وحده في زمانه لا يبالي بمن عبث و لا يلتفت إلى من لام قد سلم زمامه إلى دليله في واضح السبيل .  
عصمنا الله و إياكم من تقليد المعظمين و ألهمنا إتباع الرسول صلى الله عليه و سلم فإنه درة الوجود و مقصود الكون صلى الله عليه و سلم و على آله و أصحابه و أتباعه و رزقنا إتباعه مع أتباعه